

الكنعانيون (الفينيقيون):

يعد الكنعانيون من أوائل الشعوب العربية التي هاجرت إلى سوريا من وسط شبه جزيرة العرب في أواسط الألف الثالث قبل الميلاد، وأسسوا عدة ممالك مدن، من أشهرها: حبرون وبيوس وعكو وصيدا وصور وبيروت وطرطوس وأرواد وأوغاريت، والكنعانيون مسالمون بطبعهم لا يرغبون في الحرب إلا دفاعاً عن أنفسهم، أما كنعانيو الساحل فقد أطلق عليهم اليونان تسمية الفينيقيين، وقد مارس الفينيقيون مهنة التجارة تأثراً بموقعهم الجغرافي المجاور لسواحل البحر المتوسط.

ويرى هيرودوت أن الفينيقيين قد نزلوا من خليج العقبة قادمين من منطقة البحر الأحمر، بينما يرى بعض الباحثين أن الفينيقيين هاجروا من شبه الجزيرة العربية إلى بلاد سوريا في نهاية الألف الثالث ق.م، وأنهم ينتمون إلى نفس القبيلة التي جاء منها الأموريون معتمدين في ذلك على التشابه اللغوي والقومي بين الأموريين والكنعانيين.

يحدد موطن الفينيقيين على الساحل الشرقي للبحر المتوسط ويمتد ما بين الأرض المحصورة من مصب نهر العاصي شمالاً ونهر بيلوس في فلسطين جنوباً، ويحدها من جهة الشرق جبال اللاذقية وسلسلة جبال لبنان، ونظراً لضيق الأراضي الزراعية والتي لا تسد حاجة السكان ولانتشار السلاسل الجبلية اعتمد الفينيقيون على التجارة في معيشتهم منذ وقت مبكر من تاريخهم، وقد أسهم في امتهاتهم التجارة موقع بلادهم الجغرافي المتحكم في طرق المواصلات التجارية سواء التي توصل بين مصر وبلاد الأناضول أو بين بلاد الرافدين وجزر بحر إيجه فكانوا بذلك حلقة وصل بين مناطق عديدة من مناطق العالم القديم، فضلاً عن وجود أخشاب الأرز والسرور والصنوبر الصالحة لبناء السفن، وكذلك امتهن الفينيقيون صيد السمك، كما أنتجوا الزجاج لتوافر الرمل الناعم الصالح لهذه الصناعة، وأنتجوا الأقمشة الصوفية الملونة باللون الأرجواني، وقد تتمتع الفينيقيون بعلاقات طيبة مع مصر القديمة وهذا أدى إلى تأثر الفينيقيين بحضارة وادي النيل.

وكان لموقع الكنعانيين بين حضارتين عظيمتين (مصر القديمة وبلاد ما بين النهرين) أثر في عرقلة تكوين دولة عظيمة في بلاد سوريا، فضلاً عن قربهم من الدولة الحيثية القوية، وبنيت الدولة الآشورية قوتها السياسية والعسكرية لتحل محل الإمبراطورية المصرية في سوريا.

إن هذه الظروف لم تسمح للفينيقيين من تكوين دولة كبيرة موحدة، بل كانوا منقسمين إلى عدة دويلات مدن محصنة ويحكمها ملك يستقل بمدينته عن بقية المدن، وكانت تلك المدن تتفاوت في قوتها ومنعتها، ومن هذه المدن طرابلس والبترون وجبيل وبيروت وصيدا وصور فضلاً عن مدن الشمال عرقة وسيميرا وأرود، وفي الجنوب غزة وعسقلان في الساحل، وفي الداخل جزير ومجدو واورشليم.

ويلاحظ أن تلك المدن تتوحد في مواجهة الخطر الخارجي، لارتباطها بمصالح مشتركة وتتزعّم إحدى المدن هذه الوحدة المؤقتة، كزعامة أوغاريت في أواخر القرن 16 ق.م وجبيل في القرن 14 ق.م وصيدا في القرن 11 ق.م وصور في القرن 10 ق.م وطرابلس في القرن 5 ق.م، كما تزعمت قادش تحالفاً للتخلص من الاحتلال المصري لبلاد سوريا إلا أن الفرعون المصري طحوطمس الثالث تمكن من القضاء على هذا التحالف في موقعة مجدو عام 1479 ق.م.

وفي مملكة اييلا (تل مريخ) اكتشف في قصرها الملكي أروع وأضخم مكتبة وثائقية تنظم أمور الإدارة والتجارة والصناعة والعلاقات الدبلوماسية وعلاقات الحرب والسلم مع البلدان الأخرى.